**المحاضرة احدى عشر: عهد الاسرة القرمانلية في طرابلس الغرب 1711 /1835 م**

لم يكن ظهور الاسرة القرمانلية – نسبة الى مدينة قرمان جنوب الاناضول -نتيجة تخطيط وكان احمد باشا القرمنلي واحد من ضباط الإنكشارية وممن كانوا يقفون في مؤخرة الحوادث لهذا نجى من أي عملية قتل او نفي ودخل احمد باشا القرمنلي الى مدينة طرابلس سنة 1711 محاطا بترحاب الأهالي والعلماء واستطاع ان يكسبهم ورفع رواتب الجند لكن كره الأهالي لهم ومحاولتهم للتمرد ضد السلطة اعد لهم وليمة وذبح رؤسائها اما من سلموا من هذه المذبحة فانهم التزموا بالطاعة

قام احمد باشا القرمنلي بملاحقة حركات التمرد و اعمال العصيان في تاجوراء و ترهونة ومسلاتة و تعد ثورة علي بن عبد الله الصنهاجي سنة من اصعب الثورات لان قائدها ادعى انه المهدي المنتظر و انه منقذ البلاد من العثمانيين للكن في اخر المطاف فر هاربا كما استطاع ان يكسب الأهالي الى صفه و قام بتنظيم أمور الولاية حيث شكل مفرزة للحرس المحلي لحفظ الامن فحصن الولاية ببناء الحصون و القلاع و اصلح اسوار المدينة و ابراجها و بنى جامعا باسمه و بعد ذلك انصرف الى توسيع حدود ولايته و اعتمد على إدارة الولاية على اقربائه بالإضافة الى مشاورته للعلماء و الاعيان و سعى الى تقوية نفوذه و مركزه فضمن لأبنائه من بعده حكما وراثيا و كان يتخذ قراراته بعيدا عن السلطان و فرماناته و صك النقود باسمه و باشر بعقد الصلح مع النمسا و عقد معاهدات تجارية معهم دون استشارة الباب العالي ورفع اسم السلطان من الخطبة و تشكيل مجالس شرعية في مختلف انحاء الولاية دون الحصول على موافقة مفتي الإسلام في الاستانة و بدا و كانه حاكم مستقل و لاسيما بعدما تلقب بامير المؤمنين

سعى احمد باشا القرمانلي الى تخفيف من سياسته العدائية للسلطان فأرسل وفدا للسلطان واظهر ولائه وفي المقابل جاء فرمان تحصل منه على لقب الباشا واتسمت السنوات الأولى لحكمه بالعدل والمساواة والرخاء الاقتصادي وتخفيف الضرائب على الأهالي ولجا في الفترة التي سبقت اصابته بفقدان البصر الى تشديد قبضته على الأهالي وتشديد الضرائب والتي اثقلت كاهلهم ثم بعدها تنازل عن الحكم لابنه محمد باشا وقد دفعته عزة نفسه وشجاعته الى إطلاق النار على نفسه سنة 1735 ودفن بجامعه

كان حكم محمد باشا القرمنلي في بدايته في نفس وتيرة والده حيث سعى الى تحديد رسم حدود الولاية و الحفاظ عليها و رفع الرسوم الجمركية و شجع القرصنة البحرية لمحاربة السفن البحرية الأوربية و هذا ما اجبر بعض الدول الى عقد اتفاقيات معه لكب وده من بينها فرنسا التي ارادت تجديد الاتفاقية التي ابرمت مع والده سنة 1727و الامر كذلك بالنسبة لبريطانيا و حصلت هذه الأخيرة على امتيازات سياسية و اقتصادية ضخمة سنة 1751و أصبحت الجالية البريطانية اكثر الجاليات الأوربية في ليبيا خلال ولايته و تضمنت المعاهدة عدم تقديم مساعدات للجزائر و تونس في حالة الحرب و نستطيع ان نميز هذه الفترة بالرخاء الاقتصادي و الاستقرار الإداري لكن هذه الأوضاع لم تلبث كثيرا حيث ترك محمد باشا الحكم لأقربائه و انغمس في حياة اللهو و المجون فعمت الرشوة في كل مقاطعات الولاية و مارس اقربائه اعمال مشينة من بينها مشينة من بينها معاهدات مقابل رشاوي و ساءت علاقتهم مع الدولة العثمانية و كانت نهايته القتل في احدى حفلات المجون التي كان يقضيها مع رفاق السوء وخلفه ابنه علي باشا

تولى علي باشا القرمنلي الحكم وهو صغير السن و لم بعد سن الرشد و اصبح الضباط اوصياء عليه و استغلوا الفرصة و عقدوا اتفاقيات مع الدول الأوربية و جراء ذلك تأزمت علاقاته مع جيرانه و قاموا بمصادرة عائدات السفن البحرية واجبره الضباط سنة 1766على تقديم تعهد لفرنسا بإعدام كل مواطن ليبي تعرض للسفن الفرنسية و استغل الضباط طفولته و حتى الموظفين و تعرضت الولاية للوباء و المجاعة و الجفاف بالإضافة الى استغلال يهود الاندلس الوضع و شرعوا في شراء المناصب واسسوا لهم حيا خاصا بهم لم يستطيع علي باشا التحكم في الأوضاع فاراد الأهالي شكايته للسلطان لكن الضباط المقربين لعلي باشا لم يمكنوا الأهالي من تقديم شكواهم و كان لهذا الأخير ثلاثة أبناء احمد و يوسف و حسن و كانت علاقتهم سيئة خشية توريث السلطة لأحمد خصوصا بعد توليه منصب اغا الانكشارية و حاول يوسف التحايل للفوز بالحكم و تدارك الوالد الوضع و حمله مسؤولية قصر المنشية لكن يوسف تحالف مع الثائر غومة المحمودي زعيم فبيلة المحاميد وسانه الأهالي واعلن عن توليه الحكم وتوجه نحو أخيه حسن لتبليغه فهجم عليه فتدخلت امهما لالا حلومة فبتر يد امه و عوض اسعاف امه اطلق النار على أخيه و اردده قتيلا فطلب علي باشا القرمنلي الاجتماع بأخيه و بمقتضى الاجتماع منحت مصراتة و استلم احمد السلطة سنة 1790 لكن اهل مصراتة رفضوه لان يديها مازالت ملطخة بالدماء فانتفضوا عليه فثار يوسف باشا من جديد و طلب من أخيه تدارك الوضع فقام أهالي مصراتة بشكاياته للسلطان سليم الثالث فعين السلطان علي باشا الجزائري على الولاية سنة 1794 فمنع يوسف الوالي الجديد من الدخول الى المدينة فاعتبره الوالد تحدي لإرادة السلطان فقرر الدخول الى التراب التونسي ووصلوا الى وعود من طرف حمودة باشا باسترجاع عرشهم خصوصا انه كان على علاقة سيئة مع العثمانيين

استطاع علي باشا الجزائري التخفيض من قيمة الضرائب و قمع الانكشارية لكن بعض المعارضين له عرقل مساره الإداري و خصوصا بعد فشله من جلب الأرز من مصر لإطعام جيشه و اضطر الى اطعام عساكره برغل فاحتقره جيشه و اصبح يلقب بعلي برغل و لم يستطيع هذا الأخير دخول جزيرة جربة لتوغل الجيش الفرنسي و جيش التونسي بقيادة حمودة باشا الى مدينة طرابلس لاسترجاع حكم القرمنليين وبعد تخلي أهالي المنشية و الساحل عليه فر خارج الحدود الليبية بسرية تامة و بعودة حكم القرمنليين لليبيا عادت الفوضى السياسية و عين احمد باشا القرمنلي واليا على طرابلس الغرب ويوسف باشا قائدا للجيش ووليا للعهد و رفض الأهالي بقاء الجيش التونسي داخل التراب الليبي وعلم السكان بنوايا يوسف القرمنلي الهادفة الى الاستحواذ عن الحكم على حساب أخيه و عند ذهاب الاسرة لزيارة الاضرحة و عند ابتعاد الوفد مسافة عاد يوسف القرمنلي و تسلل عائدا الى طرابلس فاغلق أبوابها و اطلق طلقتين إيذانا للثورة و تسلمه للحكم و حين علم احمد القرمنلي ادرك انه لا يستطيع مقاومته و لتجنب إراقة الدماء تابع طريقه الى مصراتة و بعد فترة غادرها الى جزيرة مالطا

عمد يوسف باشا القرمنلي على تطبيق العدل و سعى على تحصين المدينة ببناء اسوار و مرافق عمومية لخلق نوع من الاستقرار و الطمأنينة و كان يعمل باستقلالية عن الباب العالي وشجع الاعمال البحرية و كان يدرك ان مصداقيته على البلاد لن تكون الا بفرمان سلطاني فارسل حسين باشا الى الباب العالي و اقنع السلطان بأسباب استقلاليته في الحكم و في سنة 1796 جاء فرمان توليته على ليبيا لكن يوسف باشا لم يحترم وعوده للسلطان و بخاصة المحافظة على السفن التي ترتبط مع الدولة العثمانية بعلاقات صداقة و اظهر عدم تبعيته للسلطان واوهم الأهالي بان السلطان يقيم علاقات مع الدول المعادية لولايته كما امر بالهجوم على السفن الروسية و حجز بعضها و طلب في المقابل مبلغا لفك اسرها وواصل يوسف باشا في سياسته تجاه السفن الأجنبية وتوجه وفد اروبي الى السلطان لشكايته و طلبوا بعزله عن الولاية سنة 1797 و في السنة الموالية جاء فرمان يحذره من تصرفاته و امره السلطان بعدم التعرض للسفن النمساوية و الفرنسية و البندقية لكنه لم يكترث لذلك بالعكس فانه استدعى قناصل تلك الدول و امرهم بدفع الضرائب و في سنة 1799 اسر ثلاثة سفن دنماركية

و في سنة 1802 عقد اتفاقية مع فرنسا و خصوصا بعد توسيع الميناء و بنائه لأسطول ضخم و تناسى الحملة الفرنسية على مصر عوض مقاطعتها تحالف معها و في هذه الفترة سلم يوسف باشا من العقاب لان الدولة العثمانية دخلت في مرحلة الإصلاحات و نتائج الحملة الفرنسية على مصر كانت و خيمة كما اخمد علي باشا بعض الثورات الداخلية جراء الضرائب المفروضة ثار أهالي الغريان سنة 1803 و في سنة 1806 قام شيخ قبائل سرت بالإغارة على بعض السفن الأجنبية الراسية على سواحل المدينة و أيضا ثورة أهالي غدامس و ارسل ابنه لإخماد هذه الثورات ثم كلفه بإخضاع الجبل الغربي

تأزمت العلاقات التونسية الليبية بسبب مطالبة حمودة باشا بالتعويضات التي قدمها اثناء مساعدتهم في الدخول الى التراب الليبي و رفض يوسف باشا تعويض هذا الأخير و رد على حمودة باشا ان السند وقع في عهد أخيه و ان قيمة السند دفعت من طرف أهالي غدامس و اخذ الطرفين يستعدان للثورة لولا انشغال حمودة باشا بثورة الجند سنة 1811 م لكن العلاقات توترت بين البلدين وتأزمت أيضا مع جيرانه عند قبوله لمشروع محمد علي باشا و تحالف هذا الأخير مع فرنسا ضد داي الجزائر حسين باشا بالمقابل عزز يوسف باشا القرمانلي علاقاته مع فرنسا خصوصا بعد اعتلاء ال بوربون الحكم و على اثر ذلك طالبت بريطانيا بتطبيق بنود معاهدة اكسلا شابيل التي لم يحترمها يوسف باشا و المتضمنة القضاء على القرصنة البحرية و تجارة الرقيق و واصل هذا الأخير في سياسة القرصنة تجاه السفن الدنماركية و الإيطالية و جاءت الحملة الإنجليزية بقيادة اللورد اكسموث لإرغام ولايات الشمال الافريقي الى تطبيق هذه المعاهدة

كما حاولت الولايات المتحدة الامريكية الحصول على بعض الامتيازات و حاولت القوة البحرية الامريكية السيطرة علة الاسطول الليبي ففشلت في مسعاها فقام الامريكيون باستمالة احمد بك في مصر اخو يوسف باشا و قدموا له مدينة بنغازي لكنهم كانوا يتسترون تحت الراية البريطانية و الفرنسية و الإيطالية و بعد فقدانهم للمساندة الأوروبية أرسلت الوم ا قناصلها الى الشمال الافريقي لكن شعبيتهم لم تكن كشعبية القناصل الأوروبيين و قام يوسف باشا بطرد القنصل و حرق العلم الأمريكي و اضطر الكونغرس الأمريكي الى تحضير حملة نحو ليبيا وكان الهجوم سنة 1801 م و لم يستطع يوسف باشا المقاومة فانقسمت ليبيا الى قسمين واحد مساند لأحمد باشا و الثاني ليوسف باشا القرمانلي مما اضطر الى عقد الصلح وتحصلت أمريكا على امتيازات كبيرة من بينها سلامة سفنها و تفضيل قنصلها على القناصل الأخرى تمت المعاهدة بين الطرفين و تعرضت الولاية لفساد كبير بالإضافة البنود اتفاقي اكسلا شابيل التي كانت مجحفة في حقه بقضائها عل اكبر مورد للولاية و هي القرصنة البحرية ولتعويض الخسارة ارهق الأهالي بالضرائب وجراء ذلك أعلنت القبائل الثورة و العصيان كمدينة فزان بالضافة الى انتفاضة الكراغلة و لم يستطع يوسف باشا مواجهة الاحداث فاعلن عدم قدرته في تحمل أعباء الحكم بسبب مرضه و كبر سنه و أوضح للعلماء و الاعيان بالتنازل لأفضل ابناءه علي و اخاه إبراهيم قائدا للجيش سنة م و بعدها ارسل برسالة الى السلطان يبرر له فيها عن الأسباب التي اجبرته على التخلي عن الحكم لابنه علي

اعلن علي باشا القرمانلي فور تسلمه الحكم رغبته في تطبيق العدالة و توطيد الامن و الاستقرار و حاول اجراء مصالحة بين الأطراف المتنازعة لكن الثائرين رفضوا الصلح و ارسل مفرزة عسكرية الى منطقة المنشية و الساحل لإخماد الثورة و استمر النزاع داخل الاسرة القرمانلية و انقسمت البلاد الى قسمين قسم مؤيد لعلي باشا و قسم اخر لابن أخيه محمد بك و في سنة قدم شاكر افندي الى طرابلس حاملا فرمان تولية علي باشا على ليبيا و اجتمع شاكر افندي مع الثوار و اخذ منهم رسالة الى السلطان كما اخذ لرسالة من علي باشا و قدم الرسالتين الى الصدر الأعظم و بعد اجتماعه مع كبار الدولة اتخذوا قرار إعادة الولاية الى الإدارة المباشرة للدولة العثمانية و في سنة وصل الاسطول الى طرابلس الغرب و عهد الى مصطفى نجيب باشا تسوية الأمور و انهاء حكم الاسرة القرمانلية و إدارة الولاية و توطيد الامن و الاستقرار و قام هذا الأخير بتوقيف علي باشا و عقد اجتماعا بجامع طرغوث ريس و تلى الفرمان السلطاني القاضي بإزالة الاسرة القرمانلية و دخول ليبيا في مرحلة أخرى و هي فترة الباشوات